



د. سعيد زونغو

مدير في مؤسسة التضامن والوعون
لشعب ماي باماكو/أصيل بوركينا
فاسو، خريج جامعة الزيتونة بتونس،
قسم الحضارة الإسلامية.



الإرهاب والإيولا: ظواهر وأحداث مؤلمة في غرب أفريقيا

تشهد منطقة غرب أفريقيا في هذه الآونة ظواهر وأحداثاً خطيرة تمزق شعوبها، أشدها خطورة الصراعات العرقية والسياسية، والحركات الإرهابية، والتدخل الأجنبي لنهب ثرواتها، وبعض الأمراض الفتاكة مثل إيولا، وهو ما يستدعي إلقاء الضوء على هذه القضايا المشار إليها.

الثروة والسلطة، ومن ذلك حالة كوت ديفوار وأنجولا وبوروندي.

أولاً: الصراعات العرقية والسياسية

ثانياً: الحركات الإرهابية وعلاقتها بالجريمة المنظمة

تتمثل أهم الحركات الإسلامية المسلحة التي تقوم بالعمليات الإرهابية في غرب أفريقيا في: جماعة أنصار الدين، التي تدعو إلى تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في مالي، وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب، ومن أهدافها تحرير المغرب الإسلامي من الوجود الغربي، خاصة الوجود الفرنسي والأمريكي، وحركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، وجماعة بوكو حرام التي تعتبر العنصر الأساسي في الصراع المسيحي الإسلامي في المنطقة.

ويمكن القول إن الإرهاب لا يختلف عن الجريمة المنظمة، فكلاهما يتشابه في السرية ووجود مجموعة من المبادئ والقواعد الداخلية الصارمة لكل من يخالفهما من الأعضاء أو المتعاملين معهما من جهة، وهناك تماثل بينهما من جهة أخرى في الهياكل التنظيمية في ظل طبيعتهما العابرة للحدود ووسائلهما غير المشروعة، غير أن الإرهاب يهدف إلى تحقيق أهداف سياسية، بينما تسعى منظمات الجريمة المنظمة إلى تحقيق أرباح مالية بطرق وأساليب غير مشروعة.

وتعتبر منطقة الساحل والصحراء الأفريقية فضاءً خصباً لجميع أنواع الجريمة المنظمة، أهمها: المخدرات، والهجرة السرية، والجريمة الإلكترونية أو الرقمية، وغسيل الأموال،

تعود عوامل الصراعات العرقية والسياسية في أفريقيا أساساً إلى الفروق الاجتماعية والثقافية والدينية والتاريخية، وإلى عجز الدولة عن توفير الاحتياجات الأساسية لشعوبها، وشيوع ثقافة العنف والفساد، حيث من الممكن الإشارة إلى ثلاث نقاط، أولاًها: تكريس الممارسات الاستعمارية للهوية العرقية في مواجهة الهوية الوطنية، بعد أن قسم الاستعمار القارة في مؤتمر برلين 1884 - 1885م على أساس تقسيم الجماعات العرقية بين دولة أو أكثر. وثانيها: إخفاق المشروع التنموي للدولة الوطنية منذ الاستقلال. وثالثها: يتمثل في العولمة ودور العوامل الخارجية التي أدت إلى ظهور حركات عرقية ودينية تتحدى سلطة الدول الأفريقية.

ومن أنماط هذه الصراعات العرقية والسياسية نذكر ما يلي:

1- الصراعات العرقية العنيفة، مثل النزاعات العرقية بين التوتسي (Tutsi) والهوتو (Hutu) في رواندا وبوروندي.

2- الدولة المنهارة، كما في جمهورية الكونغو الديمقراطية وليبيريا وسيراليون والصومال، حيث يستغل السياسيون هذه الفرصة لنهب الموارد الطبيعية التي تتمتع بها هذه الدول.

3- العنف السياسي المرتبط بالتحول الديمقراطي، مثل المطالبة بالمساواة بين الجماعات العرقية المختلفة في توزيع

النزاعات ليس إلا لحماية مصالحه فحسب، والتدخل الفرنسي العسكري دليل على ذلك، فقد أرسلت فرنسا قوات عسكرية قوامها 1700 جندي، بهدف وقف الاعتداء ومواجهة التنظيمات الإسلامية المتطرفة التي سيطرت على شمال مالي وتأمين العاصمة "باماكو" والحفاظ على وحدة أراضي مالي.

وقد بررت فرنسا تدخلها بأنه جاء وفق قرار لمجلس الأمن الدولي، وتلبية لطلب رسمي من حكومة مالي، إلا أن البعض يرى أن هذا التدخل السريع خطوة استباقية لمنع تحول المتمردين في غرب أفريقيا إلى خطر مباشر يهدد كل أوروبا، حيث تخشى فرنسا وبعض الدول الأخرى من أن تتحول مالي إلى معقل للإرهاب في حال سقوطها في يد التنظيمات المتشددة، هذا فضلاً عن جملة من المصالح الاقتصادية المتعلقة بالنفط واليورانيوم والثروات الطبيعية، إضافة إلى حسابات أخرى تتعلق بالسياسة الداخلية لفرنسا. وإذا كانت الدول الغربية تقدر تدخلها في أفريقيا بأنه مساعدة للأفارقة لإيجاد حلول ناجعة لمشاكلهم السياسية، فكان من الأولى مساعدتهم في مجال الصحة، مثل مرض إيبولا الذي يعتبر من أخطر الأمراض التي تشهدها منطقة غرب أفريقيا هذه الأيام.

رابعاً: مرض إيبولا في غرب أفريقيا

تم اكتشاف فيروس إيبولا للمرة الأولى سنة 1976 في زائير والغابون وأوغندا، وعرف تحت اسم "إيبولا النزفية" وهو مرض خطير وقاتل، يصيب الإنسان وبعض أنواع القرود مثل الشمبانزي والغوريلا، وينتقل إلى الإنسان من هذه الحيوانات البرية، كما ينتقل من إنسان إلى آخر عن طريق اتصال خارجي من شخص مريض أو عند استخدام شفرات تعود للمريض أو عند انتقال سوائل الجسم أو عند اتصال قطرة دم من المريض. ومن أعراض مرض إيبولا ظهور بؤبؤ الزكام والصداع ثم دوران وغثيان وإسهال وخروج دم من العينين والأنف والأذنين. وينتشر فيروس إيبولا في جميع أنحاء جسم المريض ويدمر الشعيرات الدموية، وأول شيء يقوم به هذا الفيروس هو تفجير الكبد.

ويصل معدل الوفيات التي يسببها إيبولا إلى 90%، وليس هناك في الوقت الحاضر علاج أو تلقيح لهذا الوباء.

وفي الأشهر الأخيرة انتشر مرض إيبولا في غرب أفريقيا بصورة غريبة، خاصة في أربع من دول المنطقة، وهي: غينيا وسيراليون وليبيريا ونيجيريا، حيث فاق عدد الوفيات بهذا المرض ألف شخص حتى منتصف شهر أغسطس 2014، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ إجراءات مكثفة للوقاية من هذا الوباء في بلدان المنطقة كافة، وتتمثل هذه الإجراءات في المراقبات الشديدة في الحدود وفي المطارات، حيث جهزت هناك مراكز صحية للمصابين بهذا الفيروس.

أخيراً، يمكن القول إن كافة هذه الأزمات تستلزم اختيارات عديدة على صعيد السياسات العامة يمكن للدولة أن تتبناها لتجنب التوترات والصراعات العرقية، وذلك لوضع برامج سياسية وثقافية واقتصادية عادلة، لأنه في ظل غياب حلول سريعة تتحول هذه الصراعات إلى حركات مسلحة متطرفة.

وتهريب السجائر والبززين والمواد الغذائية والأسلحة، الأمر الذي جعل المنطقة مصدراً لتهديدات أمنية إقليمية ودولية خطيرة، وكان لا بد مع هذه الحالة أن تُتخذ إجراءات إقليمية ودولية لمكافحة هذه الأعمال الإرهابية.

ثالثاً: مكافحة الإرهاب في غرب أفريقيا

إن مواجهة التحديات الأمنية السالفة الذكر في غرب أفريقيا تستلزم صياغة استراتيجية أمنية فعالة، وهذا يتطلب اتخاذ موقف موحد حول الأحداث وتطوراتها، والمساهمة بفاعلية في رسم مستقبل الحل السياسي والأمني والتنمية في المنطقة، وتحويلها إلى منطقة تعاون، بدلاً من جعلها ساحة لتصفية الحسابات البينية.

ومن الإجراءات والقرارات المتخذة لوقف هذه التهديدات الأمنية في المنطقة نذكر أهمها:

1 - على الصعيد الإقليمي:

- تأسيس تجمع دول الساحل والصحراء في 4 فبراير 1998 بطرابلس في ليبيا، إثر مؤتمر القمة الذي شارك فيه رؤساء دول مالي وتشاد والنيجر والسودان ومندوب عن رئيس بوركينا فاسو.

- اجتماع وزراء خارجية بلدان الساحل الأفريقي والصحراء في الجزائر 2010، للبحث في قضايا الإرهاب والجريمة المنظمة والتنمية بالمنطقة. وقد اتفق وزراء الدول المشاركة، ليبيا وموريتانيا ومالي والنيجر وتشاد وبوركينا فاسو، بإجماع كامل على مجابهة الإرهاب والجريمة المنظمة في المنطقة.

- الاجتماع الثالث لرؤساء الأجهزة الأمنية في دول المنطقة، الذي عقد في تشاد سبتمبر 2013، تزامناً مع انعقاد المؤتمر الوزاري الثاني حول "تعزيز التعاون الأمني وتفعيله في منطقة الساحل والصحراء"، وأكد على ضرورة دعم وتطوير المنظومات الأمنية وتوثيق التعاون في هذا المجال، والعمل على وضع حد للنشاطات الإرهابية، والتنبيه إلى خطورة الاندماج بين المجموعات الإرهابية في شمال مالي وفي بعض الدول المجاورة لها.

2 - على الصعيد الدولي:

تم إبرام اتفاقيات بينية تتعلق بتكثيف الأجهزة الأمنية ضد مخاطر الإرهاب، وتم عقد اتفاقيات دولية مع الدول الغربية، فضلاً عن تعاون دول شمال أفريقيا مع "الإنتربول"، وإجراء مناورات بينية عسكرية بين دول غربية ودول المنطقة لمواجهة مخاطر الإرهاب.

وتتمثل الأداة الرئيسية التي يتم من خلالها تنفيذ السياسة الأمريكية لمكافحة الإرهاب في هذه المنطقة في "الشراكة عبر الصحراء لمكافحة الإرهاب"، والتي تقودها وزارة الخارجية الأمريكية؛ علماً بأن أعمال مؤتمر قمة أفريقيا - أمريكا، الذي تم انعقاده في مطلع شهر أغسطس 2014 في واشنطن، ركزت على هذا الموضوع.

والملاحظ أن التدخل الغربي في غرب أفريقيا بزعم فض